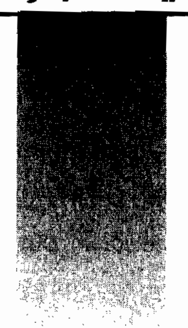


آثار بلاد اليمن
من خلال نصوص الهمداني

د. راضي دغفوس (*)
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،
تونس - الجامعة التونسية

ملخص:

نتناول بالدرس في هذه الورقة المحاور التالية:

أولاً: التعريف بالهمداني وبمؤلفاته التي تحتوي على وصف للتراث الأثري اليمنية.

ثانياً: استعراض لأهم ما جاء في كتابات الهمداني من ذكر للآثار التي شاهدها بنفسه في عصره.

ثالثاً: بعض الملاحظات حول ما كتبه الهمداني حول هذه الآثار.

الكلمات المفتاحية: الهمداني، آثار، مؤلفات الهمداني.

(*) نشرت هذه المادة ضمن كتاب: المهاجر إلى هجر العلم في اليمن. كتاب مهدى إلى القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بمناسبة بلوغه الخامسة والثمانين، منشورات المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2006، ص131-144. ووافق الكاتب والمركز على إعادة النشر هنا.

الإشكالية العامة:

يندرج الموضوع المتعلق بـ"آثار اليمن من خلال نصوص الهمداني" في إطار البحث عن التراث الأثري اليمني وتقييمه والتعرف على مدى أهميته من حيث العمق التاريخي وربطه ببقية التراث الموجود في مختلف البلدان العربية.

من ناحية أخرى سوف نعتمد في هذا الباحث على كتابات أبي محمد الحسن الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد، وذلك للكشف والتعريف بالآثار اليمنية التي ترجع إلى الفترات القديمة (ونعني بها فترات معين وسبأ وقتبان وأوسان وحضرموت)، كذلك سوف تبين كيف يمكن للمؤرخ ولعالم الآثار العربي من مقارنة هذا التراث المتنوع بالتراث العربي الذي كان موجوداً في نفس الفترات التاريخية في كامل الجزيرة العربية وفي منطقة الشرق الأوسط بأسرها.

ثم سنحاول أن نطرح –من خلال هذه الورقة- إشكالية مدى مطابقة وصف الهمداني للآثار اليمنية التي شاهدها بنفسه في القرن العاشر، بما شاهده الرحالة الغربيون مثل "نيوبور" في القرن السابع عشر، وبما يقوم به حالياً علماء الآثار والنقائش من حملات تنقيب واستكشاف لهذا التراث المتنوع في العديد من المواقع العربية.

أولاً: الهمداني ومؤلفاته عن آثار اليمن

أ. التعريف بالهمداني:

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داوود بن سليمان بن الدمينة البكيلي الأرحبي الهمداني، ويلقب بابن الحائك أو لسان اليمن.

ولد في صنعاء في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ القرن التاسع للميلاد، حوالي سنة 280هـ/892م. عائلته أصيلة من المراشي- موقع يوجد في منطقة بكيل، شرق شمالي خيوان.

تلقى تكويناً متنوعاً في مختلف أصناف العلو: نحو، أدب، شعر، أنساب، تاريخ، جغرافيا، فلسفة، فلك، معادن. وأطلع على العديد من كتب اليونان

والهند، والفرس، كما قام بالعديد من الرحلات فجاب البوادي اليمنية وأخذ المعرفة عن الأعراب ومشائخهم من أمثال أبي زغب الحضرمي، محمد بن عبيد السكسكي، محمد بن عيسى العثاري، أبو مالك اليشكري، محمد بن أبي معمر الدلاني.. طاف الهمداني -أيضاً- في مسالك الجزيرة العربية، وسجّل مواقعها وأخبار سكانها، ودخل حضرموت وزار نجد والحجاز، لاسيما مكة والمدينة، وحج عدة مرات.

من ناحية أخرى اتصل الهمداني بزعماء اليمن وأقيالها وملوكها مثل: بني الكرندي، آل يعفر، الحواليين، آل الضحاك.. ولازم خاصة أبا جعفر الضحاك وشاركه في حروبه.

من أشهر شيوخه وأساتذته تذكر الآبرهي الحميري، محمد بن أحمد الأوساني، محمد الأغر الشهابي، الخضر بن داود المكي وغيرهم..

أقام الهمداني في ريدة التي تقع في منطقة البون الأسفل، وهي عاصمة سيد همدان أبو جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك الحاشدي، ثم انتقال إلى صعدة حيث بقي ما يقارب عشرون سنة، وأطّلع فيها على أخبار خولان وحمير، وقرأ سجل محمد بن أبان الخنفري.

ونظراً لمشاركته في الحياة السياسية وفي الصراعات بين مختلف الأطراف اليمنية (بنو يعفر، الزيديون، آل الدعام الهمداني وآل الضحاك) فقد سجن الهمداني مرتين: المرة الأولى بصعدة سجنه الإمام أحمد الناصر، ثم انتقل بعد إطلاق سراحه إلى صنعاء؛ حيث سجنه أبو حسان أسعد بن أبي يعفر الحوالي بأمر من الإمام الزيدي أحمد الناصر، وتم ذلك في سنة 319هـ/931م، بسبب تعصبه لليمنية ورفضه للزيدية.

والملاحظ هو استمرار الهمداني في نضاله ضد الزيدية، غير أنه خرج من السجن في حدود سنة 321هـ/933م، بتدخل من أمير زبيد وتهامة ابن زياد، والأرجح أنه توفي فيما بين: (سنة 350هـ/970م، وسنة 360هـ/979م) بمدينة ريدة في البون.

ب. مؤلفاته

ألف الهمداني العديد من الكتب في ميادين متنوعة، منها: التاريخ، والجغرافيا، والفلسفة، والشعر، والأدب، والنحو، والفلك، والمعادن.. ومن أهم

مؤلفاته التي تتعلق بالتراث اليمني نذكر على الأقل ثلاثة كتب: صفة جزيرة العرب، الإكليل، والقصيدة الدامغة.

1. صفة جزيرة العرب

هو كتاب عن جغرافية الجزيرة العربية يتضمن معلومات هامة عن الظواهر الطبيعية للجزيرة العربية وأقسامها وسكانها ومحصولاتها الحيوانية والزراعية والمعدنية ومعابرها النهرية والبرية. وقد اهتم الهمداني في هذا المؤلف باليمن الخضراء وجزائرها ومدنها وجبالها وأوديتها ومآثارها ومخاليفها وعجائبها وقبائلها، وذكر كثيراً من الأشعار للتدليل على معلوماته الجغرافية.

يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر الجغرافية للجزيرة العربية ولليمن بالخصوص. وقد اعتمد الهمداني لوضعه على خبرته الشخصية وملاحظاته الدقيقة وأسفاره في مختلف أصقاع الجزيرة العربية.

حقق الكتاب ونشره المستشرق النمساوي "مولر بليدن" ما بين سنة 1884-1891، ثم أعاد تحقيقه ونشره القاضي محمد بن علي الأكوع في الرياض سنة1977.

2. القصيدة الدامغة

تتضمن مالا يقل عن ستمائة بين مع شرح مفيد ومفصل. ويرد فيها الهمداني على قصيدة الكميت بن زيد الأسدي في تفضيله عدنان على قحطان. المهم هو استعراضه لتاريخ اليمن منذ أقدم العصور مع دفاعه عن القحطانيين في إطار الصراع بين قبائل الشمال (العدنانيون) وقبائل الجنوب (اليمانيون) والمفاخرة بين المجموعات القبلية العربية. وما يذكر أن هذه القصيدة- بما جاء فيها من أبيان للدفاع عن قحطانيته- جلبت له الكثير من العداوات.

3. الإكليل

هو عبارة عن موسوعة علمية في عشرة أجزاء تهم تاريخ اليمن وحضارته القديمة والإسلامية من آثار وأنساب ومحافد وقصور وسدود. ولم يصلنا منه إلا أربعة أجزاء:

الجزء الأول: "في مبدأ الخليفة وأصول الأنساب من العرب والعجم ونسب مالك بن حمير" حققه ونشره في أو بسالة بالسويد المستشرق لوقفرن سنة 1954،

ثم أعاد تحقيقه ونشره بالقاهرة القاضي محمد بن علي الأكوع سنة 1963م وأعيد طبعه أخيراً في صنعاء سنة 2004م.

الجزء الثاني: "في نسب ولد الهميسع بن حمير ونوادر أخبارهم" وقد حققه ونشره عدة مرات القاضي محمد بن علي الأكوع (القاهرة سنة 1963 و1966 ثم بغداد سنة 1980 وأخيراً صنعاء 2004).

الجزء الثامن: "في ذكر قصور حمير ومداينها ومدافها وما حفظ من شعر عُلقمة بن ذي جدن والمرائي والمساند". حققه ونشره في بغداد الأب "أنستاس ماري الكرملي" سنة 1931، ثم أعاد تحقيقه ونشره "ببرنستن" بأمريكا نبيه فارس سنة 1940، وأخيراً قام القاضي محمد بن علي الأكوع بتحقيقه من جديد ونشره بصنعاء عدة مرات، آخرها سنة 2004م.

الجزء العاشر: "في معارف همداني وأنسابها وعيون أخبارها" وقد حققه ونشره بالقاهرة محب الدين الخطي سنة 1968 قبل أن يعيد تحقيقه ونشره بصنعاء القاضي محمد بن علي الأكوع عدة مرات آخرها سنة 2004م.

أما الأجزاء الأخرى فتتعلق بـ"فضائل قحطان ومناقب اليمن" (الجزء الثالث) و"السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان إلى عهد تبع أبي كرب أسعد الكامل" (الجزء الرابع)، و"بالسيرة الوسطى من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس" (الجزء الخامس)، و"بالسيرة الأخيرة من عهد ذي نواس إلى عهد الإسلام" (الجزء السادس). وتضمن الجزء السابع "التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة"، أما الجزء التاسع فموضوعه "أمثال حمير وحكمها باللسان الحميري".

سوف نتوقف عند الجزء الثامن الذي يهم موضوع ورقتنا لندرس محتواه ونتعرف على ما ذكره الهمداني من معلومات وأخبار عن التراث اليمني القديم.

ثانياً: الآثار اليمنية من خلال كتابات الهمداني أو "الهمداني رائد علم الآثار اليمنية"

أ. الجزء الثامن من الإكليل ومحتواه:

إن عنوان الجزء الثامن من الإكليل "في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومرائي حميري والقبوريات" هو عنوان معبر في حد ذاته عن مضمون

الكتـاب الـذي كـان الهمـداني وضعه للتعريـف بمختلـف الآثـار اليمنيـة القديمـة. المهـم هـو أن جـزءاً مـن هـذه الآثـار مـا زال قائمـاً في عـصر المؤلـف (القـرن الرابـع – القرن العاشر)، وأن الهمداني في نطاق زيارته عبر اليمن شاهد بنفسه هذه البقايـا ووصـفها لنـا بكـل دقـة مـن حيـث مواقعهـا وأنواعهـا وأحجامهـا، كمـا لم يبخـل علينا بتصوير حروف المسند، ونقل العديد من النقائيش التي شاهدها لاسيما المساند القبورية.

بدأ الهمداني كتابه بذكر ما أسماه "قصور اليمن ومعاقلها وما قيل فيها من الشعر وما فيها من الأخبار". وقد خصص في هذا الإطار صفحات مفيدة جداً لعلماء الآثار المحدثين عن قصر غمدان في صنعاء، وذكر لنا أن مؤسسه هو سام بن نوح الذي تجمع المصادر اليمنية على أنه مؤسس مدينة صنعاء واسمها أزال. ويروي الهمداني أن سام "كان يرتاد أطيب البلاد.. فوجد اليمن أطيبه مسكنا وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيبها". والجدير بالذكر أن صنعاء قد أسست بين سفحي جبلي نقم في الشرق، وعيبان في الغرب. وكان قصر غمدان يتكون من عشرين سقفاً غرفاً بعضها على بعض وبين كل سقفين عشرة أذرع، وكان مزيناً بالرخام والمرمر والجزع. ويضيف الهمداني أن "هذا القصر لم تزل حمير تنزله وتزيد فيه حتى أخرب في أيام عثمان". كما يرود لنا روايات مختلفة عن باني هذا القصر ويرجح أنه القيل ألي شرح يخصب.

وينتقل الهمداني لذكر ظفار المعروفة بحقل يحصب ويعدد قصورها ويخص بالذكر منها قصر ذي ريداني عاصمة الحميريين وقصر شو حطان وقصر كوكبان. كما يبين في حديثه عن قصور اليمن "إنه لم يبق من غمدان سوى قطعة من أسفل جداره، وأنه لم ير مثل ناعط ومأرب وخمر، لكن أفضلها ناعط". والملاحظ أن ناعط تقع شمال صنعاء في منطقة "البون" التي كان الهمداني أقام فيها- كما أسلفنا حديث- مدة طويلة خاصة في مدينة ريدة. ويوجد في ناعط على حد تعبيره ما يزيد على عشرين قصراً منها قصر يعرق وهو قصر المملكة وقصر ذي لعوة المكعب. ويؤكد الهمداني أن هذه القصور كانت مسورة وتوجد تحتها صهاريج للمياه. أما بقية القصور فيجعلها الهمداني في مأرب وأشهرها سلحين قصر بلقيس ملكة سبأ، ثم قصر الهجر وقصر القشيب.

يذكر لنا من ناحية أخرى قصر النضد الذي يصعب تحديد موقعه اليوم- ثم قصور بيت حنبص، وقصور بيت محفد، وقصر الديل، وقصر شحرار

وبينون (شرقي بلاد عنس) وقصور دامغ (ما بين صنعاء وذمار) التي هدمها الأحباش في أيام ملكها لليمن. ثم ينتقل الهمداني لذكر مآثر ضهر (وهو مكان فيه واد وقلعة ومصنعة) ورئام. ويواصل استعراض المحافد والقصور فيذكر قصر غيمان- واسمه المقلاب- وقصر فائش بوحاظة بلد ذي الكلاع.

بالنسبة لمحفد الذي يقع ما بين صنعاء ومأرب يبين الهمداني أنه بقي منه شيء قائم وأن سعد بن خولان هو الذي تملك به بعد خروجه من مأرب، ويورد عدة أشعار في هذا الشأن. ويذكر قصور حدقان ورداع وشبام سحيم (وجبلها ذو مرمر من المعاقل المشهورة) وشبام بيت أقيان (أو شبام يحبس التي تقع شمال غربي صنعاء) وهي عاصمة مملكة آل يعفر الحواليين ثم قصري نجر وعمران بالبون وقصر موكل (جنوب شرقي ذمار) وقصر أفيق وقصر هكر ببلد عنس وقصر فيد- على طريق العراق إلى مكة- وقصر بينون وقصر العتمية وقصر واس وقصر ذو ريعان وقصر الأهجر (شمالي شرقي ذمار).

ويمر الهمداني بعد ذكر كل هذه القصور إلى تعداد حصون السر (ذو القيل، القمرا، حصي، شمر، البيضاء، الهجيرة) وردمان (منها قصر وعلان) ومحافد حضرموت (منها دمون لحمير والنجير لكندة وشبوة وحورة وتريم). كما يذكر لنا محفد ورثان- بين الجوف ومأرب- وكان لآل نشق من بكيل.

وفي الباب الموالي من الجزء الثامن يتوقف الهمداني لتعداد محافد همدان ومنها قصر سخي وهو من عجائب اليمن وقصر عصام شرقي ناعط وقصر نوفان بخيوان وقصر خمر الذي ولد فيه الملك أسعد الكامل وهو كثير المياه وقصور يسحم ودعان وشهير وبيت الورد- غربي ثلا- وشرعة ومرمل وخوان وعلمان وعمد وميفعة وهندة وهنيدة وعمران- وهو قصر في أعلا البون- "وهو أعجب مآثر البون" على حد تعبيره.

من محافد همدان كذلك يذكر الهمداني قصور مدر (وعددها أربعة عشر، منها ما هو اليوم خراب ومنها ماهو اليوم متشعث- بمعنى متغير- ومنها ما هو عامر مسكون).

ومن أقدم قصور اليمن قصر ريدة- دار اللعويين من بكيل- وهو تلفم الذي في أصل جبله بئر، ويضيف الهمداني في شأن هذه البئر قائلاً أنه "ليس في اليمن أغزر منها بحراً ولا أعذب ماء ولا أصفى أصفى منها صفاء ولا أرق منها رقة ولا أخف منها خفة ولا أحلى منها حلاوة ولا أصح منها صحة".

ومن محافد اليمن في منطقة الجوف براقش ومعين؛ فأما معين فهي خراب في عصر الهمداني، وأما براقش فقائمة في أصل جبل هيلان. كما توجد بالجوف والبيضاء والسوداء وغيرهما من المآثر.

• بالنسبة للسدود يبين الهمداني أنها أسداداً حميرية منها سد مأرب المشهور الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وسد الخانق بصعدة الذي بناه مولى سيف بن ذي يزن (نوال بن تيك) وأخربه إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد العلوي بعد هدم صعدة. وسد ريعان وسد سيان (سنحان اليوم جنوب صنعاء) وأسداد بلاد عنس (مثل سد جيرة) وأسداد يحصب وعددها ثمانون، منها قصعان وريوان- وهو سد قتاب- وغيرها. ويذكر الهمداني سد بيت كلاب في ظاهر همدان غير أنه لا يعرف أسداد بلد ذي رعين.

وقبل الحديث عن كنوز اليمن ودفائنها وعددها ثمانية يذكر الهمداني البقاع المقدسة أو المرحومة (وهي أبين والجند ومأرب وهكر وزبيد)، ثم البقاع المحرومة أو المشئومة (ختا وأزال- وهي صنعاء- وتهامة والمعافر).

أما الكنوز فهي: إرم مدينة شداد بن عاد- ذخر وهو جبل بأرض المعافر- جبا وهو حصن الفراعنة ويقع في جبل صبر- ظفار خبان وهو حصن التابعة بحقل يحصب- مأرب الجوف- شبام ذي مرمر- غمدان والحمراء من حضرموت.

ويخصص الهمداني بقية أبواب كتابه لحروف المسند وللقبوريات ولما حفظ من مرائي لحمير.

بالنسبة لحروف المسند قام الهمداني بضبطها وإثباتها وصورها بمختلف الأوجه وقام بوضع الحروف التي تقابلها بالعربية مع احترام الترتيب الأبجدي.

وفي شأن القبوريات أورد لنا الهمداني أخباراً متعددة نقلها عن هشام بن الكلبي وتتعلق ببعض الشخصيات الحميرية وبمدافنهم.

من خلال هذا الكتاب يبدو أن الهمداني كان مولعاً بتاريخ اليمن وآثارها وقد أورد العديد من الأخبار عنها في شكل يغلب عليه الطابع الأسطوري وهو أمر يجعل المؤرخ وعالم الآثار في حيرة لمعرفة مدى صحة هذه المعلومات ومدى مطابقتها للواقع.

ب. كتاب صفة جزيرة العرب وما يتضمنه من مادة أثرية:

كنا ذكرنا إن هذا الكتاب يهتم بجغرافية شبه الجزيرة العربية وأن مؤلفه الهمداني ضمنه معلومات هامة عن مختلف المظاهر الطبيعية والبشرية لبلاد اليمن. من خلال استعمالنا المتواصل لهذا المصدر لاحظنا أنه يتضمن مادة أثرية غنية لا يمكن لعالم الآثار المهتم باليمن بصفة خاصة تجاهلها. فالهمداني لا يكتفي في هذا الكتاب بوصف اليمن وذكر مميزاته الجغرافية فحسب، بل نجده يتتبع أسماء المواقع ليذكر لنا تاريخها بكل تفصيل، كما لا يبخل علينا بإيراد كل ما يتعلق بها من معلومات عن تأسيسها وما وجد فيها من آثار (مباني، قصور، معابد، مع ذكر لخصائصها المعمارية). وبطبيعة الحال تعتبر هذه المعلومات أحسن عون لعالم الآثار للتثبت من صحتها ومعاينة ما بقي منها اليوم ومقارنته بأوصاف الهمداني لهذه المعالم في عصره.

ولعل أحسن مثال لذلك هو النص الهام الذي أورده في خصوص اللغات التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية في القرن العاشر للميلاد. يؤكد الهمداني أن بلاد العرب كانت مقسمة من الناحية اللغوية إلى قسمين: اليمن وباقي المنطقة، بالنسبة لليمن يذكر تواجد ما لا يقل عن خمسة مستويات لغوية: العربية الفصحى- العربية الرديئة- العربية المتأثرة بالحميرية- الحميرية، وأخيراً اللهجات غير المفهومة (الغتم).

إلى أي حد يمكن للمؤرخ ولعالم الآثار الاعتماد على معطيات الهمداني حول آثار اليمن القديمة التي ذكرها في كتاباته وشاهد البعض منها بنفسه؟

ثالثاً: ملاحظات حول معطيات الهمداني

أ. الملاحظة الأولى تتعلق بمصداقية الهمداني

يعتبر لسان اليمن المصدر الأساسي بالنسبة لأغلب الجغرافيين والرحالة الذين زاروا اليمن منذ القرن السادس عشر للميلاد وقاموا بوصف بعض المواقع الأثرية ال مشهورة مثل مأرب، ويعتبر الأب بارز Le Pere Parz الذي اخترق بلاد حضرموت من ظفار إلى صنعاء أول أوروبي شاهد آثار مملكة مأرب وألف كتاباً بعنوان "تاريخ أثيوبيا" ضمنه كل تفاصيل رحلته في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وفي القرن السابع عشر - 1763- قام العالم الدنمركي كارسن

نيوبور Carsten Nibulr صحبة مجموعة من العلماء بزيارة اليمن وقد سجل في كتاب طبع المرة الأولى في كوبانهاجن سنة 1773- 1776 ثم المرة الثانية في باريس سنة 1779م تحت عنوان "وصف بلاد العرب" كل انطباعات البعثة حول العرب وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وثقافتهم. لكن الكتاب لا يهتم بآثار اليمن على أساس أن علم الآثار لم يظهر بعد في أوروبا كعلم له خاصياته ومميزاته ومقوماته.

في الواقع لم تبدأ عملية الاكتشاف العلمي الحقيقي للجزيرة العربية ولليمن بالخصوص إلا في غضون القرن التاسع عشر على أيدي العلماء الأوروبيين من فرنسيين مثل طاميزي Tamisier وبوطا E.Botta وأرنو The j Arnaud أو نقليز مثل: ولستاد J. Wellstaed وكروتندن Cruttenden وهولتن Hulton. والجدير بالذكر أن أرنوهو الذي اكتشف آثار مارب ومجموعة من النقائش القديمة، كما أن ولستاد قام بنشر أو نقشية باللغة الحميرية وهي نقشية حصن الغراب، في حين أن هيالفي J. Halevy زار عدة مواقع مثل: ناعط والجوف ونجران، وتمكن سنة 1869 من نسخ ما لا يقل عن 676 نقشية. وتمكن من جهته العالم النمساوي جلازر E. Glaser من سنة 1882- 1888 من زيارة مواقع عديدة مثل مأرب وصرواح، كما نسخ من جهته عدة نقائش وقام بضبط رسوم بعض المعالم مثل معبد بلقيس بمأرب.

وقد تواصلت البعثات العلمية في القرن العشرين وإلى اليوم لمزيد من الإطلاع على المواقع ودراسة المعالم اليمنية التي كان الهمداني ذكرها في 10 كتاباته - كما أسلفنا القول.

وفي هذا الإطار يمكن ذكر البعثة التي أرسلتها الأكاديمية النمساوية سنة 1898 بإدارة الأستاذ ملر D.H.Muller لزيارة موقعي نقب الحجر وحصن الغراب. كما نذكر عمليات التنقيب التي قام بها سنة 1928 كارل راتجس Carl Ratjens وفون ويسمان H. Von Wissmann في الموقع السبئي بحقة وأدت إلى اكتشاف معبد ذات بعدان.

من ناحية أخرى شارك العالمان المصريان محمد توفيق سنة 1944- 1945 وأحمد فخري سنة 1947 في هذه العمليات للبحث عن الآثار وتوصل هذا الأخير إلى زيارة عدة مواقع مثل مارب وصرواح، كما قام بنسخ العديد من النقائش

تكفل بنشرها الأستاذ ريكمانس G. Ryckmans فيما بعد. ثم إن فخري رجع إلى مصر محملاً بمجموعة من الصور عن محرم بلقيس وسد مارب.

وتكاثرت البعثات الأثرية في النصف الثاني من القرن العشرين، منها البعثة الأمريكية سنة 1950 بإشراف الأستاذ وندل فيليبس Wendell Phillps الذي ركز على منطقة وادي بيحان وخاصة مدينة تمنع. أما البعثات الفرنسية في السبعينات 1975- 1976 فأدت الأولى منها بإشراف العالمة الأثرية جاكلين بيران Jacquelin Pirenne من زيارة ما لا يقل عن خمسين موقعاً في اليمن الشمالي والحصول على عشرات النقائش واللقى الأثرية التي فسحت المجال للتعرف أكثر على القرى اليمنية القديمة التي كان الهمداني ذكرها في كتاباته. وهذا دليل إضافي على أهمية هذه النصوص.

ومما لا شك فيه أن نشر أعمال مختلف هذه البعثات سيؤدي بالضرورة إلى التحقق من مصداقية ما كتبه لسان اليمن.

ب. الملاحظة الثانية تتعلق بمنهجية الهمداني

إن ما ذكره لنا مؤلف الإكليل بخصوص مختلف المعالم من محافد وقصور ومعابد وسدود لا يعني بالضرورة أنه تم اكتشافها بالكامل اليوم. من ناحية أخرى أوضحنا أن الهمداني كان ميز بنفسه ما بين الآثار التي شاهدها وقال إنها ما زالت قائمة في عصره وما بين العديد من المعالم التي اندثرت آنذاك.

المهم هو أن الجهود ما زالت متواصلة اليوم ليتوصل الآثاريون وعلماء النقائش من العثور على لقى ونقائش تدعم ما جاء في كتابات الهمداني.

ج. الملاحظة الموالية تتعلق بتطور الدراسات الأثرية:

إن علم الآثار بفضل الإمكانيات المادية الكبرى التي سخرت له من طرف العديد من الدول والمنظمات الثقافية العالمية وبفضل التكنولوجية الجديدة التي أصبحت متوفرة للعلماء أفرز معطيات كيفية لا بد من تجميعها ونشرها. غير أن الطاقات البشرية ما زالت غير كافية لمواكبة كل الاكتشافات ونشر آلاف من النقائش التي عثر عليها في مختلف المواقع. ونشير هنا إلى أن الهمداني كان سباقاً في هذا المجال؛ حيث إنه تفطن قبل غيره إلى ثروة اليمن الأثرية، كما أكد

على أهميتها بالنسبة لتاريخ بلاده. ويكفينا هنا ذكر ما يقوم به حالياً عالم النقائش الفرنسي كريستيان روبان Christian Robin وزملائه اليمانيون من جهود لتجميع أكبر عدد ممكن من النقوش اليمنية، سواء كانت معينية وقتبانية أم سبئية وحميرية وطرحها على الباحثين لدراستها بصفة علمية. ونأمل أن يستغل ما تم اكتشافه في السنوات الأخيرة في اليمن لتقع عملية مراجعة وضبط دقيق لتواريخ الممالك اليمنية القديمة ويتسنى للباحثين إبراز خصوصياتها المعمارية والفنية والقيام بمقارنة التراث اليمنية بأمثاله في كامل المنطقة الشرقية.

الخاتمة:

إن كتابات الهمداني- رغم كل ما نطرحه من إشكالات- تبقى مهمة للتعرف على التراث اليمني بكل مكوناته. ولا شك أن علماء الآثار والنقائش قد استغلوا ما جاء فيها من معلومات ووظفوها أثناء القيام بحملاتهم التنقيبية في مختلف المواقع القديمة، مثل: مأرب وصرواح وشبة. ولعل أحسن دليل على أهمية نصوص الهمداني بالنسبة لعلم الآثار ما قام به المستشرق النمساوي د. هـ. مولر D.H. Muller منذ القرن التاسع عشر عندما اعتماد على مخطوطة المتحف البريطاني من الجزء الثامن من كتاب الإكليل واقتطف منها مواضيع نشرها مع ترجمة ألمانية وأرفقها بدراسة عامة عن عرب الجنوب واليمن السعيد.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر

- الهمداني "صفة جزيرة العرب"، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض 1977.
  "الإكليل"، الجزء الثامن، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء، 2004.
- الرازي، "تاريخ مدينة صنعاء"، تحقيق حسين عبدالله العمري وعبدالجبار كار، صنعاء، 1974.
- ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، طبعة دار المأمون، مصر، د.ت، الجزء السابع.

ب. المراجع:

- شاكر مصطفى "التاريخ العربي والمؤرخون"، بيروت، الجزء الثاني، 1978.
- توركيل هانسن، "من كوبنهاجن إلى صنعاء" ترجمة محمد أحمد الرعدي، بيروت، 1982.
- Joseph CHELHOD, "L'Arabie du sud, histoire et civilisation", trois vol, Paris,, 1984.
- Radhi DAGHFOUS, "Le Yemen islamique des origines jusqu'à l'avènement des dynasties autonomes (l'er-3éme s) ", deux vol, Tunis, 1995.
- Le yemen dans les écrits des voyageurs, D'Hérodote à l'anthropologie moderne, Cahiers de Tunisie, n° 145-148;1989, Tunis; pp:43-82.
- Christian ROBIN, "L'Arabie antique de Karib il à Mahomet- Nouvelles données sur l'histoire des Arabes grâce aux inscriptions", REMMM, n° 61,1991-1993:
- Jacqueline PIRENNE, "A la découverte de l'Arabie- Cinq siècles de science et d'aventures", paris, 1958.